الفصل الخامس

أنصار الاتجاه الثاني

(المعارضون لعمل المرأة)

obeikandl.com

obeikandl.com

يرى أنصار هذا الاتجاه أن عمل المرأة الأساسي ووظيفتها الحقيقية ورسالتها السامية في الحياة تتلخص في تفرغها لبيتها؛ فعمل المرأة في البيت لإدارة شؤونه الداخلية وتربية الأطفال فيه والقيام على شؤون الزوج من أساسيات الحياة التي ينبغي عدم التغافل عنها. وتعد هذه الوظيفة من أهم وظائف المجتمع ومسؤولية ينبغي عدم التقليل من شأنها وأهميتها.

ويعتمد أصحاب هذا الاتجاه على المبدأ الأصولي الذي يقول: «إن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح» فخروج المرأة للعمل خارج منزلها يحقق لها ولمجتمعها منافع اقتصادية إلا أنه في الوقت نفسه يحمل بين طياته ضرراً اجتماعيًّا يفوق تلك المنفعة والمصلحة الاقتصادية؛ لما يسببه من التفكك الأسري والانحلال الأخلاقي.

وانطلق أصحاب هذا الاتجاه إلى أن عمل المرأة في البيت المأجور (المكتب) وغير المأجور (المنزل) - زهور الأزرق ١٩٨٢م عندما تناولت الاعتراف اقتصاديا بمردودية عمل المرأة داخل الأسرة فقالت: «وهذا يتطلب أولا إلغاء التعريف الحالي للعمل الذي هو (العمل نشاط يؤدي إلى أجر مالي)؛ لأنه ناقص ولا يعبر عن جانب من جوانب العمل الذي يغفل ما تبذله المرأة - وهي نصف المجتمع - من جهد جهيد بإخلاص لتربية الأبناء والقيام بشؤون الأسرة ويتناسى لو أننا استأجرنا من يقوم بعملها أو أقمنا مؤسسات لتعويضها كم يكلف ذلك بغض النظر عن السلبيات التي تحدث في تكوين الإنسان حين تسند إلى غير أمه.

وقد أثبتت الدراسات الطبية والنفسية أن المحاضن وروضات الأطفال لا تستطيع القيام بدور في التربية ولا في إعطاء الطفل الحنان الدافق الذي تغذيه به .

«وقد تكون أكثر ما يحتاج إليه الطفل دون العاشرة أن يجد أمه في انتظاره بعد عودته من المدرسة ويعد عدم وجود الأم من أكبر التكاليف التي تدفعها الأم العاملة ذات الأطفال الصغار؛ ونظرا لأن هذه الحاجة أقل وضوحا من حاجات التغذية والضبط والنظام فإن مثل هذه الحاجات الاجتماعية والنفسية لا تجد الاهتمام الكافي أو يغفل أمرها كلية»(١).

كما أثبتت الدراسات الطبية المتعددة أن كيان المرأة النفسي والجسدي قد خلقه الله تعالى على هيئة تخالف تكوين الرجل . وقد بني جسم المرأة ليتلاءم مع وظيفة الأمومة ملاءمة كاملة كما أن نفسيتها قد هيئت لتكون ربة أسرة وسيدة البيت . وقد كان لخروج المرأة إلى العمل وتركها بيتها وأسرتها نتائج فادحة في كل مجال . ويقول تقرير هيئة الصحة العالمية : «إن كل مولود يحتاج إلى رعاية أمه المتواصلة لمدة ثلاث سنوات على الأقل ، وإن فقدان هذه الرعاية يؤدي إلى اختلاف الشخصية لدى الطفل ، كما يؤدي إلى انتشار جرائم العنف التي انتشرت بصورة مريعة في المجتمعات الغربية . وطالبت هذه الهيئة بتفريغ المرأة للمنزل(٢)، وطلبت من جميع حكومات العالم أن تتفرغ المرأة ، ويدفع لها راتب شهري إذا لم يكن لها من يعولها حتى تستطيع أن تقوم بالرعاية الكاملة لأطفالها .

إذن وظيفة الأمومة تتصاغر أمامها الوظائف الأخرى ، حتى ورد في الأثر أن الجنة تحت أقدام الأمهات ؛ لعظم دور الأم ومسؤوليتها .

---

(١) محمود حسن ، الأسرة ومشكلاتها ، ص ٢٣٧ .

(٢) محمد علي البار. عمل المرأة في الميزان .

ويرى أنصار هذا الرأي أن وظائف المرأة الفيسيولوجية تعوقها عن العمل خارج المنزل. فاختلاف تركيبها الجسدي والنفسي عن الرجل، وما يعتري المرأة في الحيض والحمل والولادة والرضاعة كل ذلك لا يعينها على الاستمرارية في العمل، وإنما هو تعطيل للعمل ذاته، كما أن العمل يشكل لها في هذه الحالات عبئا إضافيا وجهدا مزدوجا يؤثر في صحتها الجسدية والنفسية على حد سواء.

فمواجهة صعاب الحياة ومجال العمل يتطلب أعلى قدر من القوة والنشاط والحيوية والطاقة اللازمة، ولكن في حالة الحيض المتكرر وحالات الحمل والولادة تكون متعبة ومرهقة لما يعتريها من متاعب وآلام، وذلك كفيل بانخفاض مستوى إنتاجها، وهذا بالطبع يتناقض مع مصلحة العمل، فضلا عن أن خروجها للعمل لتنافس الرجال مصادم للفطرة والأنوثة ومخالف لطبيعة تكوينها البيولوجي الذي لا مندوحة عنه.

ولنا في الدين الإسلامي أكبر عظة وعبرة، حيث نتأمل في رحمة الله تعالى بالمرأة، وكيف خفف عنها واجباتها أثناء الحيض والنفاس فأعفاها من الصلاة، ولم يطالبها حتى بقضائها، وأعفاها من الصوم وطالبها بالقضاء في أيام أخر.

هذا بالإضافة إلى أن عمل المرأة وخروجها من البيت وتعاملها مع الزميلات أو الزملاء والرؤساء، وما يصحبه العمل من توتر ومشادات أحيانا يؤثر في نفسيتها وسلوكها فيترك بصمات وآثاراً على تصرفاتها فيفقدها الكثير من هدوئها واتزانها، ومن ثم يؤثر بطريق مباشر أو غير مباشر في أطفالها وزوجها وأسرتها.

ومن المضحك المبكي أن البلاد المتخلفة تعاني بطالة حقيقية ومقنعة، وهناك الملايين من الرجال الذين يبحثون عن عمل فلا يجدونه، ومع هذا تقام حملات إعلامية ضخمة تتحدث عن نصف الأمة المشلول، ونصف الأمة المسجون، ونصف الأمة المعطل عن الإنتاج ويطالبون بإخراج المرأة إلى ميادين العمل والإنتاج. ولا إنتاج هناك !!

ويرى المعارضـون لعمل المرأة أن التحاق المرأة بالعمل وأخذها أجـراً معيناً هو مدعاة للسرف والبذخ في أمـور ثانوية وتافهة في بعـض الأحيان، فتكون النتيجة خسارة اقتصادية فـادحة، وليس كسباً اقتصاديًّا. أما الخسـارة الاجتماعية فأشد وأعتى، فيتحطم نظام الأسرة وتتفكك العلاقات الأسرية وتزداد جريمة الزنـا في المجتمعات المختلطة.

فعندما تعود المرأة العاملة من عملها مرهقة مكدورة سيئة الخلق تحس بتشتت كبير بين التوفيق بين البيت والعمل وجهد مبعثر متناثر تقوم به حتى تلم حياتها، وتجد زوجها في مثل وضعها تقـريبا مشحونا بـالتوتر والضيق نتيجة مـا يبذله من جهد خلال عمله اليومي فيكون في حاجـة إلى الزوجة لتخفيف وإزالـة التوترات اليومية والحصول على تأييد وجداني من جـانب زوجته يقوي عزيمته ونضاله إزاء ضغوط العمل في العالم الخارجي. فكيف يتـوافر لـه إذا كانت زوجتـه عاملة في ظروفه نفسها تقريبا ؟

وكثير من المشكـلات الأسرية تبـدأ في أحيان عـديـدة من المشكلات الماليـة والجدل حول الشخص الذي يقوم بالإنفـاق على الأسرة. ومدى مساهمة الزوجة برأيها في الإنفاق على البيت ومتطلباته.

وكانت نتيجة الزيادة المستمـرة في نفقات المعيشة ورغبة في الأسرة رفع مستوى معيشتها نزول المرأة إلى ميدان العمل ومشاركتهـا في إعالة الأسرة ومساعدة زوجها في تحمل مسـؤوليات المعيشـة فحققت عن طريق العمل استقـلالا ذاتيا، ولـم تعد عبئـا على أسرتها أو زوجها في إشباع حـاجاتها المادية، وقـد كان اعتماد المرأة على زوجها يفرض عليهـا أن تكون في موقف التابع، وتحمل دائما دوراً ثـانويا في قرارات الأسرة، ولكن بعـد أن حققت المرأة لنفسها كيـانا اقتصـاديًّا أصبحت لا تـرضى بهذا الدور، ومن ثم بـدأت الأسرة الديمقـراطية التي يقف فيهـا كل من الزوج والزوجـة على قدم المساواة في الظهور.

«وكان من نتيجة الحياة الحضرية كذلك ظهور كثير من السلع والخدمات، وأصبحت من الحاجات الضرورية في حياة الأسرة، ولما كانت هذه السلع والخدمات في تطور مستمر فإن دخل الأسرة مهما نال من تحسين أو زيادة لا يمكن أن يفي بهذه المطالب المتجددة، وهكذا أصبحت الأسرة الحضرية تتجه نحو الاستهلاك المتزايد وأصبحت ظاهرة الاستهلاك من الظواهر التي تهدد الأسرة دائماً بالاستدانة أو استنفاد مدخراتها أولا بأول[1].

وقد ساهم أيضا خروج المرأة للعمل في ازدياد حالات الطلاق في المجتمع، وذلك لشعور المرأة بقدرتها على الاستقلال المادي.

كما أدى إلى انخفاض واضح في نسبة المواليد في المجتمعات، وذلك نتيجة رغبة المرأة للتفرغ لعملها ولعدم مقدرتها على تحملها الربط بين مسؤولية البيت والأطفال والعمل.

ومن مساوئ عمل المرأة في الغرب أيضا انخفاض معدلات الخصوبة والإنجاب في الأسرة وارتفاع معدلات الطلاق، حيث يرتفع الطلاق بشكل واضح في أغلب المجتمعات الصناعية، نظرا لشعور المرأة بالاستقلال الاقتصادي فلا تتردد في قطع علاقاتها الزوجية إذا لم يحقق لها الزوج السعادة التي تنشدها. وقد كان لاشتغال المرأة وذهابها إلى المصنع وتغيبها عن المنزل فترات طويلة خلال الليل أو النهار أثر كبير في حرمان الأطفال من حنان الأمهات فأدى ذلك إلى كثير من المشكلات العاطفية والنفسية.

ونتج أيضا عن انشغال المرأة بالعمل خارج البيت ومحاولة تحقيق طموحاتها، وما تصبو إليه أن تهمل في أحيان كثيرة مسؤولياتها الأساسية ووظيفتها الأولى فتنشغل عن بيتها ورعاية أطفالها ومراقبة النشء الجديد المراقبة التي تكفل لهم التنشئة الاجتماعية الصحية فتنجم عن ذلك أخطار جسيمة ونتائج سلبية عديدة

---

(١) محمود حسين. الأسرة ومشكلاتها، ص ١٤.

مثل انتشار ظاهرة التدخين بين المراهقين والأحداث، وظهور الانحراف الخلقي والجريمة والمخدرات التي انتشرت في هذا العصر، ولم تجد آباء وأمهات على مستوى المسؤولية.

فكل ذلك يعد نتائج منطقية وطبيعية ومتسلسلة لانشغال الأم والأب عن البيت والتخلي عن مسؤوليتهما للخادمات والمربيات.

فالمربية أو الخادمة لا يمكن أن تعوض ما تعطيه الأم لطفلها من الحنان والحب والعطاء والنصح والتوجيه فإذا كان الأب مشغولا والأم كذلك فما نصيب وحظ الأطفال منهم ؟!

ونذكر هنا أحمد شوقي حيث قال :

ليس اليتيم من انتهى أبواه من

هم الحياة وخلفاه ذليلا

إن اليتيم هو الذي تلقى له

أمًّا تخلت أو أباً مشغولاً !!

والذين يقتدون بالغرب ومبادئه في قضية عمل المرأة يستغربون عندما يسمعون استغاثة المرأة نفسها هناك. فالمرأة الغربية اليوم بائسة بالرغم مما حققته في السنوات الأخيرة من النجاح والتقدم والمساواة. هذا ما أعلنه أحد العلماء الغربيين حين كتب يقول : «إن الأصوات تتعالى يوما بعد يوم شاكية من الأعباء الثلاثة التي تنوء بها المرأة، أعني عبء المهنة وتدبير المنزل والعائلة، بحيث إن وضع المرأة هذا لم يعد يطاق. فكما كان تشغيل الأطفال قبل مائة عام لطخة عار في نظامنا الاجتماعي، كذلك يعد اليوم تشغيل المرأة»[1].

---

(١) منير محمد الغضبان : أيتها الفتاة المسلمة، ص ١٨.